الرمز في الشعر العراقي المعاصر "العناية بالرماد لكريم شغيدل أُنموذجا"

م . د . وسام عبد الحسن عبد الكاظم الساعدي

المديرية العامة للتربية في ميسان- وزارة التربية

الكلمات المفتاحية: الادب. الشعر العراقي. كريم شغيدل

الملخص:

تقوم هذه الدراسة على قراءة الرمز في الشعر العراقي المعاصر كونه أداة لتكثيف الواقع لا تحليل له، ولأن لغة الشعر هي لغة الإشارة لا لغة الإيضاح، تقوم على بنية العلاقات الدفينة التي تدفع بالقارئ لإعادة بناء الترابط الفكري الذي يتجاوز حدود الالتقاط المباشر؛ لذا وظف الشاعر الثمانيني كريم شغيدل الرمز كأداة لنقل التجربة الشعرية إلى القارئ عبر تخطي المعاني الوضعية للمفردات، والخروج بها من حدود اللغة العادية إلى ميدان أوسع يحمل التجربة الشعورية والدلالات الإيحائية؛ ليجعلها منفتحة على الدلالات الثقافية والاجتماعية والسياقية القريبة والبعيدة، عندما لا تستطيع الكلمات بمعناها المعجمي أن تؤدي تلك الوظيفة الشعرية .

الرمز في الشعر العراقي المعاصر" العناية بالرماد لكريم شغيدل أُنموذجا"

يعدّ الرمز واحداً من المرجعيات المهمة التي يتضمنها الحدث الشعري للإسراع في عملية التوصيل والاختصار، وفي تلقي النص واستقباله عن طريق فسح المجال للالتقاطات المنقولة من الثوابت إلى دائرة التصوير المعاني المقصودة؛ لأنه إيحائي بطبيعته لا يكتفي بتصوير الأشياء بل ينقل تأثيرها في النفس بعد أن يلتقطها الحس؛ ذلك لأن "غاية الشاعر الرمزي الوصول إلى خلق حالة نفسية معينة في جو القصيدة "(1) يرسي من خلالها ثوابت التلقي؛ لأن هناك ارتباط وثيق بين دلالة الرمز والمخزون الثقافي والمعرفي لحيثيات الرمز؛ لذا يلجأ المبدع في إدراجه داخل النص الشعري لما له من قدرة خارقة في ولوج عالم اللاشعور .

إنّ توظيف الرمز في الشعر العراقي المعاصر أصبح ظاهرة واسعة، أغرت الدارسين في عدّ الرمز من بين أهم الأدوات الأسلوبية التي يتأسس عليها النص الشعري المعاصر أو الحديث .

ولقد تشعبت الرموز وطريقة تناولها في تتبع تلك الرموز وفاعليتها داخل النص الشعري، فالرمز يعمل على تجسيد أحاسيس الشاعر وأفكاره الدفينة، ليظهرها في أشكال مادية تعمق من فاعلية النص وقوة كينونته، التي تذوب في الماديات وصولاً إلى أشكال شفافة وموحية؛ لأنها تمتلك قابلية اصطياد لحظات "الذهول النفسي حيث يتوارى الوعي وتنساب الخواطر طليقة حرة، فتطفو على السطح منها رغبات ومخاوف كانت مكبوتة "(2)، ولأن اللاوعي رمزي بكينونته لذلك لا تظهر تلك المخاوف والرغبات بشكلها الحقيقي، بل ترتدي ثياب الرمز لتستر جوهرها ومصدرها الأصلي، وهنا يعظم إيحاؤه وقدرته في توصيل المعاني والكشف عنها. والكتابة الشعرية هي عملية دمج وانصهار، تخرج معظمها من مختبر اللاشعور، لتكون وحدة للبث والتوصيل وإمكانية الشاعر يميل إلى وضع المكان اللامحدود في شبر من الأرض والزمان اللامتناهي في لحظة من الوقت(3)، يكون فيها الرمز عملية متقنة يوظفها الشاعر كي يفتح عن طريقه قنوات الاستكشاف، معتمداً فيه على دلالة الإيحاء وتنامي الحدث بخطوات متقاربة، تنتقل من حدود الرمز الأصلي إلى واقعٍ جديدٍ منسجم مع التجربة الواقعية .

وبشكل عام يقوم توظيف الرمز داخل النص الشعري على مستويين:

الأول: الأشياء الحسية التي تصنع قالباً للرمز.

الثاني: الحالات المعنوية المرموز لها .

وباتحاد المستويين تنطلق فاعلية الرمز في الولوج داخل المقاصد المختصرة في عالم النص . لذلك تقوم هذه الدراسة كمحاولة لبحث ظاهرة الرمز في الشعر العراقي المعاصر من خلال تحليل طبيعتها وكشف البنية الجمالية التي يكتسبها منها؛ لأن اللغة الشعرية لم تعد لغة تعبيرية وإنما أصبحت إيحائية تقوم على عدة تقنيات ومنها الرمز، الذي يؤدي وظيفة تعبيرية جمالية قائمة على إبراز المعنى بالإيحاء والتكثيف عن أعماق عوالم بعيدة، يتفاوت في تذوقها المتلقي حسب مستويات الثقافة ودرجة الشعور .

والشاعر المعاصر يقتنص الرمز بالإشارة الخاطفة التي تؤكد المعنى المقصود، بعد ضمان ثبات تفاصيل وحيثيات الرمز الأصلية في ذهن المتلقي، متلاعباً بمجرى الأحداث ليجعلها متوافقة مع التجربة الشعرية. نجد ذلك في نص لكريم شغيدل يقول فيه :

لأنَّ الخبزَ أهمُّ من الوقتِ
باع ساعتهُ الأخيرة ..
ولأنَّ الحروبَ تلاحقُه منذُ ولادتهِ
ينتصبُ خلفها كجنديٍ مجهول ..

ولأنها أحبتهُ كبطلٍ أسطوريٍ
أصبح شاعراً .. بها ..
ولأنَّ الموت أرخصُ من أيّ وقتٍ
سيبحثُ عن عشبةٍ عقيق أضاعها جدُّهُ
بينَ أدغال الموتِ
وخلَّفَ له أفاعي .. تمضي بحياته ...(4)

يتحرك النص ضمن مفردات الرمز، متنامياً فيه الحدث وحسب التدرج من (الخبز) الذي بيع لأجله (الساعة الأخيرة)، ثم تلك الجدلية المتعارف عيها (الجندي المجهول) التي ظلت تلاحقه منذ ولادته الأولى، حتى وصل إلى اللحظة الأسطورية (عشبة الحياة) التي تحولت الى (عشبة الموت) والأفاعي المرتبطة بها، ليقرأ من خلالها حتمية الموت الذي يلف لحظاته الأخيرة.

إنّ دلالة الرمز هنا هي محاكاة لتوكيد ثبات خواء التجربة وتوقف الحياة وعدم إمكانية حركتها على الرغم من ملامحها الظاهرة، لكنها ملامح خاملة لا تفي بالشعور الطبيعي من بوحٍ وتوصيل، ليكون الرمز بمثابة صدى داخلي لصوت الشاعر يعبر به عن ذاته التي لونت النص بظفيرة معانٍ تشكلت بخطين:

الأول: الجزع من الموت والضعف في مواجهته .

الثاني: الحاجز الفاصل بين الأمل بالخلاص والبقاء .

هذان الخطان اقتنصا موضوعاً من رموز التاريخ والحياة، ووظفاه بإتقان في خلق محاكاة نابضة بالإيقاع الحكواتي ورموزه التي طرزت النص بألوان المعاني الموحية، انتقل فيها من رموز الجوع والعوز إلى رموز الموت والنبوءة الأسطورية؛ ليخلق من جوانب تلك الرموز الموظفة في النص نقاط للتوهج الدلالي، التي أُسقطت على ملامح التجربة المعاصرة بشتى أبعادها، ليشير بها إلى الواقع المضطرب والحروب التي لا نهاية لها .

وتتشكل الجملة الشعرية عند شغيدل تشكلاً دلالياً بانزياحها عن القواعد المألوفة، إذ يبتدع لغته الرمزية من السياق اللغوي المتولد من مجمل العلاقات داخل النص.

على ظهر حكايةٍ
أولها عاصفةٌ
وليس في البئرِ
ما يلتقطه العاطلونَ

من صدىً لاهثٍ ...(5)

مزج شغيدل في هذا النص دلالة الرمز الديني بتجربته المعاصرة، ليشكل منه لوحة لا تبتعد عن سياقها الرمزي الذي آلت روح النص. إنّ قصة البئر تأخذنا إلى فكرة الإنقاذ الأولى لنبي الله يوسف (عليه السلام)، والشاعر هنا قام بتوظيفه كرمز للاغتراب والمعاناة؛ ليظهر منه رمزاً ارتكازياً لدلالة الاغتراب؛ الأمر الذي يظهر التقاطب المكاني بين الواقع واللاواقع، إذ لابد من التحرر من المنفى"بديل الوطن" والعودة به إلى الوطن؛ ليكون الرمز أداة تعبير فاعلة في الكشف عن الحالة الذاتية التي شكل فيها الرمز نقطة توهج داخل النص؛ لأن اللغة العادية لا تقوى على وصفها بدلاتها الوضعية، لذلك كان الرمز أكثر نهوضاً ونضوجاً في تجسيد التجربة .

والرمز هو الإيحاء بالأفكار والعواطف بتوظيف كلمات خاصة تنقل المعنى من دائرة الغموض إلى مساحة الأفق الواسع؛ لأنه يتيح لنا "أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص، فهو قبل كل شيء خفي وإيحائي"(6)، يكشف خفايا الحقيقة للعالم والأشياء عبر وجود علاقة متعارف عليها، لكنه بعد أن ينتزع من الواقع يتحوّل إلى قيمة مستقلة يحسها المتلقي. هذا نجده في قصيدة بعنوان أوبئة .

نحن الراكعين في معابد البلاهة
ألفتنا الأوبئةُ
وليس في الأفقِ ملائكةٌ
تهبط من الأعالي
لتصنعَ من الترابِ القديمِ
أكسيرَ سعادةٍ ... (7)

يكشف النص عن مكونات وجع تبين فساد العلاقة بين الإنسان والواقع، ترجمه الشاعر بأدوات رمزية (معابد، ملائكة، تراب قديم، أكسير السعادة)، ليشكل منها بناءً معرفياً لا يكشف إلا من خلال مستويات رامزة تشكله وتتشكل به، لتحوله من الإيجاب إلى السلب، بما يتوافق مع شعور وأحاسيس وموقف خاص، شكله النص الشعري بطريقة التشكل الخطي المتدرج بشفرة أيديولوجية تنقدح داخل النص لتكون انعكاساً للتوازن النفسي، فدلالة "أكسير السعادة" جاءت مخالفة لواقعها الدلالي بانتقالها للتعبير عن السقوط في متاهات الضياع والإنكار والاستهجان، ليكون الرمز هنا بمثابة وقود خاص لعربة القصيدة، وظفه الشاعر ليقدم حدثاً تظافر بمفردات لإنتاج دلالة المعاناة التي يرزح تحتها الشاعر، بحيث

شكل الرمز دالاً له قراءة في الرؤيا الفنية، ليصبح هو البديل على الصعيد الواقعي، مما أعطى فرصة للتحرر من قيود الواقع، فرغم الحضور الجسدي في الواقع إلا الروح لم تفارق حدود اللاواقع .

إنّ قيمة الرمز"تنبع من سياقه، وبغيره يفقد طاقته الخلاقة في خلق الصور الشعرية، ويتراجع إلى دلالته الحرفية"(8)، لذا هو عملية مزاوجة يتحرر فيها الشاعر من ذاتيته المحدودة إلى نطاق العالم الأوسع، بمعطيات تعبر عن خفايا النفس الإنسانية .

كنّا غنائمَ أحلامٍ سوداءَ
يكتحلُ برمادها الكهنةُ ..
ما من منارةٍ،
ولا أيقونةِ وجدٍ،
أو كهانةٍ،
إلا وأُكرهتْ على نزفِ سوادها ...(9)

هذا النص مكتظ بالبوح والوجع، مرتدياً ثياب الرمز ليبث من خلاله النجوى والآمال والأسئلة، بتعامل ذكي اختار فيه رمزي (المنارة ، الكهنة)، ليجعل منها أداة ممتلئة بالإيحاء ومرتقياً بها إلى أعلى قمم الوجع. إنّ الرمز الديني في هذا النص كان له الحظ الأوفر في الانتقاء، ليشكل منه نقطة التمركز الذهني للمتلقي، وهو يتعرف على أيقونة الفهم الخاصة بالنص الشعري،كما أن الانحسار ما بين قوسي الرمز وألفاظه المحدودة هو ما ميز الرمز الموظف فيه، فهو يحمل أبعاداً إيحائية قابلة للزج في مدار النص، بما يحمله من أجزاء توافقية مع مسوغات الرمز الذي يتكئ عليه، بتقنية تثري التجربة الشعرية عبر إيجاد نوعاً من التجاذب والتنافر فيما بينها، وهذا ما يجعل القارئ ينجذب إليه باحثاً في طيات رموز النص وتحولاته .

وتتميز النصوص المعاصرة بهيمنة ظاهرة تكرار الرموز التي وردت منسجمة مع المستوى الدلالي والإيقاعي؛ كي تتجاوز التقليد في النظم، منتقلة إلى مستويات فنية مميزة، فقد شكل الرمز أهمية في إنجاز المتن الإبداعي؛ بما يحمله من شمولية الدلالة المتشظية في تشكيل النص الشعري وبث روح التناسق والتماسك داخله؛ الأمر الذي يبث حيوية تنزاح عن الرتابة في تناول القضايا التي تدور حولها معاني الموضوعات. وفي نص لشغيدل هيمن عليه توظيف الرموز نجد ذلك .

كجرادٍ سممتهُ الريحُ ...

لتنخسفَ البلادُ
خريطةَ قحطٍ ،
وتنكفئَ الحشودُ
قطعانَ كآبةٍ ...
كانت الفراشاتُ البيضُ
تنسيك عددَ النخيلِ
امتلأتْ سطوحُ منازلنا
غرباناً جريحةً ،
والراياتُ نعقتْ
على وقعِ خطى الغرباءِ ...(10)

هذا النص يحمل تمهيداً لزج الرمز داخله، هذا التمهيد جاء من خلال الإشارة المكثفة التي برزت مشاهد توظيف الرمز (جراد سممته الريح، قطعان كآبة، فراشات بيض، غربان جريحة) .

إنّ الشاعر هنا زج الرموز بحركة الانتقال من الرمز إلى الآخر بتأثير الانزياح الداخلي، وبإيقاع حكواتي يقتنص بعض تفاصيل الدراما، التي تنبئ بمستقبل الألم في رحلة التشرد والغربة عبر دلالة السلب للرمز (الجراد، الغربان) مزاوجاً إياه بدلالة الإيجاب (الفراشات البيض)؛ ليعبر عن شعور عميق للحزن والألم، وبتواشج في مزج الرموز الموظفة للإشارة إلى أدوات الخراب في بنية الوطن، وقد وظف فيها استعارات جميلة على الرغم من بشاعتها وقسوتها (قطعان كآبة، رايات تنعق)، بما تحمله من صور رمزية توحي بدلالة الخراب والأشياء المغلوطة، ليغدو فيها الرمز وقوداً للذاكرة التواقة إلى أرض الصورة الطبيعية للمكان.

وفي الشعر العراقي المعاصر رموز شخصية، يشحنها الشاعر بشحنة أو مدلول ذاتي يفرغ من خلاله انفعالاته وعواطفه، ومنها رمزية المرأة التي ظهرت تحمل معاني الخصوبة والأنوثة والأمومة، وهذا نجده في نص لشغيدل يحمل رمزية الفكرة والتجربة للمرأة الأم .

تستيقظُ أمي
من قيلولةِ كآبتها
على ثرثرة عطور
ولهاثِ أغان جريحةٍ (11)

إنّ توظيف رمز الأم في هذا النص جاء عن طريقين: يتمحور الأول في كون الأم هي الأقرب عاطفياً إلى ولدها، أما الثاني جاء عن طريق اللاشعور الذي كانت فيه الأم هي نقطة الإتقان ومفصل الشعور بالشراكة الروحية والعاطفية، عبر حالة تماهٍ داخلية لمكنونات الذات، والتي تمنح النص مساحة مفتوحة ومهيئة للقارئ، ينقاد من خلالها بحسب فهمه لقوة الرمز في شعر الخطاب مع الأم .

والأم هنا فكرة رمزية للأرض والوطن ودالاً على الشعور بالاغتراب، بما تحمله من إيحاءات رمزية تمثل الإخفاق والإحساس بقلق الحياة وغربتها، لذلك أتجه الرمز في اتجاهين: الأول الإنكار، والأخر الإدانة، بحضور مجتمعي مقيد بالجوانب النفسية والفكرية والجسدية .

والرمز من ناحية الأداء هو "صور متناقلة يطغى فيها المجاز على الحقيقة، ويطغى فيها التلميح على التصريح"(12)، لكنه يرافق الحقيقة الذاتية للشاعر؛ لأنه مرتبط بتجربته الشعورية المؤتلفة مع مكونات النص الشعري، فهو يبدأ من الواقع ليتجاوزه إلى المطلق، بعلاقات ومعطيات متعددة تعبر عن حركة الذات الشعرية .

إنّ الماءَ تلوَّثَ
فعقَّ الينابيعَ،
وعقتْ السحابةُ السماءَ ،
فعقَّها المطرُ...
كنَّا على وهمٍ (13)

الماء رمز الوجود ومصدر الحياة، لكنه في هذا النص انزاح عن دلالته الطبيعية، ليتحول إلى ميدان أخر، هو ميدان القطيعة والعقوق؛ لأنه عق الينابيع ومصدرها عق السماء، فالينابيع والسحابة التي كانت رمزاً للحياة تحولت إلى رمزٍ مغاير، تغيرت فيه دلالة الماء من التطهير إلى العصيان.

إذن النص يحمل إيحاءات الواقع المعاصر وقسوة التجربة، بانقلاب الرمز في دلالته التي صورت عمق المعاناة المعنوية والمادية، بتقنية الحوار الداخلي مستعينة بالرموز والألفاظ المتنافرة كي تعمق الإحساس بحدة المفارقة .

ورمز الماء"المطر" هنا تجاوز دلالته القريبة وتحول إلى رمز أخر يمنحه أبعاداً أكثر كثافة وإيحاء، يدركه المتلقي عند قراءة النص عن طريق الإسقاطات الذاتية على الأشياء الخارجية، لذا نجد أن مشهد المطر قد مثل رؤية شعرية اقترنت بالرؤية النفسية، لتشكل

لازمة لفظية تحمل دلالات عدة داخل السياق الشعري؛ لأنها استدعت رمزية المطر في بعيدها الحقيقي والمجازي .

إنّ الرمز هو جزء من بنية التجربة الشعرية الحديثة، حوّلها من وظيفتها التقريرية إلى وظيفة أخرى نفسية، تسعى في القبض على حركة الواقع المتشظي؛ لتشكل بناءً متوازناً يفرضه الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، في "حدود التأثير النفسي على المتلقي وخلق متعة عن طريق إشاعة جو من المعاني المضببة أو غير المنكشفة تماماً "(14)، والتي يوصل لها عن طريق المخيلة وتقليب النظر؛ لأن الرمز مرتبط بالتجربة الشعورية التي تمنح النص مغزىً خاصاً، تنهار فيه المعالم المادية وتنهض على أنقاضها علاقات رؤيوية وذاتية جديدة.

لذلك نرى شغيدل ينتقل من رمز إلى أخر؛ ليوضح عن طريقه رؤية أخرى للواقع ، ويجعله دالاً على أقصى عذاباته .

تعالي لأبدأ مسراتي
بكسرةٍ على مساحةِ لهاثكِ
الذي أمطرتني سحابتُهُ
على ضفة الخمسين من الخراب ... (15)

رمز النص هنا يشير إلى العمر الزمني، الذي قُدم بجلة شعرية (على ضفاف الخمسين) مضيفاً إليه عبارة أخرى (من الخراب)؛ ليعطي للرمز داخل النص أيقونة الإيحاء، لكونها المفردة المحورية التي أستند عليها النص، بامتداد فضائها في جعل قضية العمر الزمني رمزاً للحركة الترتيبية المحاصرة بالخراب.

إنّ توظيف النص لتلك المفردات جاء تعبيراً عن الشعور النفسي، الذي شكل صورة انكسارية عاشها الشاعر؛ ليؤكد من خلالها تسلل الزمن إلى المكان والإنسان والأرض، ولكي يبين للمتلقي القيمة الوجودية للكيان المادي، وأيضا ربط المصير بطبيعة الزمن، في مخاضٍ صعبٍ تتداخل فيه رموز القدرة الشعرية بتساؤلات مدهشة، تكشف عمق المعاناة تجاه تناقضات الواقع، والتي بلغ فيها اليأس حداً للانكسار الجسدي والمعنوي .

ويجرد الشاعر الرمز من دلالاته الواقعية؛ ليستطيع أن يحمله بعض أبعاد تجربته، حيث يجرده من دلالته التراثية ليحمّله الأبعاد المعاصرة في رؤيته الشعرية(16)، مسلطاً الضوء على ما هو متوافق ليكون جزءاً مكتملاً في البناء الشعري .

أعيادنا التي اسودتْ على حبال الأراجيحِ ،
وتيتمتْ في مناديلِ عطورنا العتيقةُ ،

كان أبي يفرشُ دموعاً لأمي
يبستْ على بابِ منزلنا (17)

الرمز هنا ارتبط بجدلية التضاد والتماثل عبر خضوعه لوقائع المجتمع ومشكلاته، في مقاربة دلالية للرمز ضاعفت من قيمته وهيمنته في مسار التناقض الدلالي، إذ ورد رمز (العيد) في هذا النص بدلالته السلبية، التي تترك في النفس الإحساس بقسوة مجيئه ووطأته عبر صور موحية (أسودت على حبال الأراجيح ، تيتمت مناديل العطور، أبي يفرش دموع أمي)، والتي شحنت بعناصر نفسية أسقطت على مشاعر اليأس والألم، لذا جاء العيد رمزاً للزمن القاسي، ووظف بلغة إيحائية عبر بناء تصاعدي، يصعد فيه الموقف بشكل مستمر في محاولة للامساك بالمكان قبل أن يضيع، الأمر الذي جعل الشاعر يتعامل مع اللفظة الدالة "العيد" من مدلولها المعروف إلى مستوى أخر للرمز، بإضفاء رؤية شعرية مشحونة بمدلولات خاصة حوّلت العيد من الوضع الطبيعي إلى وضع أخر، أسهم في أداء معنى مغاير بصور شعرية ذات أفق مؤثر ، كان فيها العيد رمزاً للحزن والضياع بدلاً من رمزيته المعروفة للفرح والمرح .

إنّ الرمز هو فن التعبير عن الوجدان والإحساس باقتراح أفكار وعواطف يعاد خلقها في ذهن المتلقي بتوظيف الرموز(18)، التي هي إشارة حسية مجازية توظف الطقوس والحكايّا والعادات والألعاب الشعبية. وفي هذا المجال نجد قصيدة بعنوان "يلتبس على الملائكة رمادها " ترصعت بشذرات الترميز الموحية على جسد القصيدة، وهي تتحول من مساحة البوح إلى نافذة التهجد، ليكون ميدان توظيفها التعبير عن الشواغل الفكرية .

حين طرتُ بفرس النبي
اخضرّتْ في عينيَّ السماءُ
ونسيتُ أنني
تركتُ زورقي الورقي
وعصفوراً معدنياً
ينقر ظلَّ جرادةٍ
في بركةٍ آسنةٍ ..
كنَّا نلهثُ وراء عظمٍ ضائع
سيلوحُ تحت الترابِ ،
ونفتش بارتيابٍ

بين عظامٍ ستلتبسُ علينا
لم نعد نقتتلُ على بلبلٍ خشبي
أو كرةٍ زجاجية
أفلتتها أصابعُنا الغاضبةُ
هكذا .. هي حكايتُنا الغامضةُ (19)

الرمز هنا جاء مصدقاً لحقبة زمنية مهمة في عمر الإنسان، زجه الشاعر وهو تحت تسلط الواقع؛ إذ اتصل بالرمز بتأثير الانزياح الداخلي في نفسه، ليكون ذلك الانتقال بإيقاع حكواتي درامي يمثل انعكاساً لمفردات وألعاب الطفولة (فرس النبي ، الزورق الورقي، العصفور المعدني، عظم ضائع ، بلبل خشبي ، كرة زجاجية)، وهي تتحول من خاطرة بوح إلى مساحة تهجد تستدعي مفاتن الروح بانعكاسٍ لألعاب الطفولة، التي تمثل وقفة وجد وتراجع إلى الماضي الزاخر بالانتماء، ليكون الترميز هو مرتكز البث داخل النص الشعري وأهم روافده؛ لما يتضمنه من معطيات ودلالات ثرية بالإيحاء، حققت الاندماج بين الشعبي والواقعي، بحيث اندمج الجانبان في بناءٍ فنيٍ واحد مظهره شعبي ومخبره واقعي، ليمثل حالة الانكسار والحزن عبر مخاطبة سنوات الطفولة في خلق التحوّل الزمني، الذي يكشف عن مستوى البنية الكامنة لخلق المجسمات/ الرموز ، الموظفة بجزئيات حياتية صغيرة، لكنها تحمل في طياتها براعة الشحنة الرمزية المطلوب توصيلها.

والشاعر هنا اشتق رموزه من سياقات وأحداث لها أبعاد نفسية، أراد فيها تحويل مسار اللغة من هزيمة نفسية إلى استنهاض عاطفي في امتلاك قدرة الاسترجاع والتعبير والكتابة، بمفردات تجمع رموزاً للبراءة والطفولة وهي تندرج في زمن قصير ومحدد؛ لكي توقظ صحوة التقدم الزمني الذي قدم دلالات زمنية متقابلة، تكمن في توظيف المخزون الخام من الثقافة الشعبية في توليد دلالات تتعالق فيما بينها، باستدعاء تقنية الفن الروائي التي عمقت من فاعلية الرمز في تشكيل رؤى النص .

والرمز هو بقية صفاء الفكرة والجوهر الذي يفترض أشياءً تدق باب المجهول عبر إثارة الحواس والارتفاع بها، فهو "أداة لغوية تحمل وظائف جمالية عندما تسهم في تشكيل تجربة الشاعر على نحوٍ مؤتلف مع مكونات النص الأدبي"(20)؛ لذا هو قد يكون ألفاظاً مفردة أو تراكيباً لغوية ترد في سياق النص الشعري.

ويلجأ الشعراء المعاصرون في علاقتهم مع رمزية المكان إلى إقامة ثنائية ضدية بين مكانين أولهما المكان الآمن وثانيهما المكان المعادي، وكريم شغيدل يتناول للدلالة الرمزية للمكان (بغداد) بثائية ضدية بين الأنا والآخر.

بغدادك لا تشبهُ بغدادي
لكنهما التقيا على جسرٍ ومئذنةٍ
بغدادك بقايا كنزٍ وبستانِ تمر وفاكهةٍ
وبغدادي كوخٌ ينزُّ ملحاً ودخانَ نازحين ..
بغدادك قصرٌ منيفٌ يهذي بشفاه نهرٍ قديم ،
وبغداي عيون قروياتٍ ترنو لأريافٍ
نبتتْ بين سنابلها عشبةٌ سوداء
بغدادك شمعٌ يتَّقدُ مساءً
وبغادي ليلُ رثاءاتٍ
وشجنُ معذبين
بغدادك مرآةُ كحلٍ
وبغدادي نايٌ كسيرٌ للذكريات،
وبغداد التي بيننا
طبلُ حربٍ
ونشيدٌ للحرائق ... (21)

وظف في هذا النص رمز المكان (بغداد) للحديث عن إحساس بضغط المدينة وفداحة ثقلها، الأمر الذي جعلها رمزاً موازيا بين الأنا والأخر بغدادك X بغدادي .

ولقد استعان النص برموز حسية أخرى (جسر ومئذنة، بقايا كنز ، بستان تمر ، قصر منيف، نهر قديم، عشبة سوداء، ليل رثاءات، مرآة كحل، ناي كسير ، نشيد حرائق)، جاءت بتركيبة صنعت علاقاتها فوق الحسية مدركات وظفت بمساحة كبيرة داخل النص، فالرمز في هذا النص جاء بمستويين: الأول حقيقي بمثابة قالب للعاطفة ، والثاني تجريدي رمزي يحمل المدينة التي افتقدها؛ لذا جاء هذا النص يجمع بين النزعة الرومانسية، والنظرة الواقعية الرمزية التي تطل بين ثناياه بصوت الرفض والاحتجاج النقد، وبإيحاءات رمزية تدل على اغتراب الذات وسط المكان الذي أصبح رمزاً للبينية والضياع .

إنّ النص حمل بنية المفارقة والمقارنة الضدية التي هي وليدة موقف عقلي ونفسي وثقافي، جاء عبر بناء تقابلي لصورتي الرمز، مما جعل النص يتحرك ضمن ثنائية ضدية محورها الرمز المكاني (بغداد)، في بلوغ قمة التعارض والتضاد التي فضحت السلوكيات المشوهة للأمكنة عبر أفعال التّحول المجتمعي .

ويمكن القول أن الرمز هو أحدى التقنيات المهمة التي رافقت القصيدة العراقية المعاصرة، في كونها رافداً وأداةً مهمةً للتجربة الشعرية، يعتمد عليها الشاعر للتعبير عن حالته الوجدانية والنفسية، فضلاً عن أنها ظاهرة فنية توظف الثقافة برؤية جديدة. وهذا ما تبين في نصوص الشاعر الثمانيني كريم شغيدل، والتي جاءت متأثرة بهذه التقنية بشكل واضح؛ لتكون أداةً تنقل المشاعر المقترنة بالمواقف الجديدة في ضوء أبعادها النفسية، والتي تتخذ من الرمز واجهة لها في إتمام الفكرة التي لا تقوى اللغة العادية على أداء دلالتها الوضعية، ليجعلها منفتحة على الدلالات الثقافية والاجتماعية والسياقية القريبة والبعيدة؛ لذلك انطلق من ذلك المستوى في بناء رموز نصوصه الشعرية، عندما لا تستطيع الكلمات بمعناها المعجمي أن تؤدي تلك الوظيفة الشعرية .

ولقد استطاع شغيدل من خلال تقنية الرمز الإفلات من القيود التقليدية لكثير من المفردات المعزولة في ساحة الحراك الشعري؛ لكي يروض من خلالها أوابد اللغة وشواردها، باقتحام حالة الجمود والركود الفني لكثير من المفردات، والانتقال بها إلى خاصية التطور في الإمكانات اللغوية والشعرية، والتي تجاوزت الواقع المادي إلى الواقع التجريدي .

الهوامش:

1. الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، أمية حمدان : 27 .
2. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، محمد فتوح أحمد: 268 .
3. ينظر: الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية، الحداثة وتحليل النص، د.عبد الآله الصائغ : 105 .
4. العناية بالرماد، كريم شغيدل : 9 ، 10 .
5. نفسه : 25 ، 26 .
6. زمن الشعر ، أدونيس : 160 .
7. العناية بالرماد، كريم شغيدل : 18 ، 19 .
8. الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث ، محمد علي كندي : 320 .
9. العناية بالرماد ، كريم شغيدل : 34 .

10. نفسه : 50 ، 51 .
11. نفسه : 54 .
12. الرمزية في الأدب والفن ، إسماعيل أرسلان : 106 .
13. العناية بالرماد، كريم شغيدل : 57 .
14. الترميز في الفن القصصي العراقي الحديث 1960. 1980، دراسة نقدية، د.صالح هويدي: 20 .
15. العناية بالرماد ، كريم شغيدل : 65 .
16. ينظر: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د.علي عشري زايد : 128 .
17. العناية بالرماد، كريم شغيدل : 84 .
18. ينظر: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر ، رجاء عيد : 192 .
19. العناية بالرماد ، كريم شغيدل : 70 ، 71 .
20. جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي ، فايز الداية : 175 .
21. العناية بالرماد ، كريم شغيدل : 89 ، 90 ، 91 .

مصادر البحث ومراجعه:

مدونة البحث:

- العنايةُ بالرّماد، كريم شغيدل، دار ليندا للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، السويداء، ط1، 2015 .

الكتب النقدية :

- الترميز في الفن القصصي العراقي الحديث 1960. 1980، دراسة نقدية ، د. صالح هويدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989.
- جماليات الأسلوب، الصورة الفنية في الأدب العربي، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1990 .
- الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية، الحداثة وتحليل النص، د.عبد الآله الصائغ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ، ط1، 1999.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1984.
- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، محمد علي كندي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2003.

- الرمزية في الأدب والفن، إسماعيل أرسلان، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ، ط1، دت .
- الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، أمية حمدان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق ، دط ، 1981 .
- زمن الشعر، أدونيس ، دار العودة، بيروت، ط3 ، 1983 .
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د.علي عشري زايد، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4، 2002.
- لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر، رجاء عيد ، دار المعارف دمياط ، 2009.

The symbol in contemporary Iraqi poetry, "Caring for the Gray," Karim Shgedel, is an example

Dr. Wissam Abdel Hassan Abdel Kazem
General Directorate of Education in Maysan
wissamalsady747@gmail.com

Keywords: literature. Iraqi poetry. Karim Schiedel.

Summary:

The symbol is one of the prominent phenomena in contemporary Iraqi poetry، in that it is a tool for intensifying reality without analysis. Because the language of poetry is the language of sign، not the language of illustration، and it is based on the structure of buried relationships that push the reader to rebuild the intellectual coherence that goes beyond the limits of direct capture، so the eighty poet Karim Scheidel employed the symbol as a tool to convey the poetic experience to the reader by overcoming the positivist meanings of the vocabulary، and getting out of it from The limits of ordinary language to a broader field that carries emotional experience and suggestive connotations; To make it open to the cultural، social and contextual connotations near and far، when words in their lexical meaning cannot perform that poetic